

## الفصل الحادي والعشرون: المرأة السامريّة



### ١- الاستقبال

اللقاء بالمسيح يغيّر الحياة. ذهبت امرأةٌ سامريّةٌ عاديّةٌ إلى البئر لتستقي الماء، فإذا بها تلتقي بمن يملك الماء الحيّ، وأعلمها أنّ العبادة الحقيقيّة ليست مكانيّة إنّما بالروح والحق. تغيّرت حياتها وأصبحت مبشرة به. كيف تقيّم لقاءاتك

بالناس؛ هل تتضمن بشري خلاص وسلام، هل فيها أحاديث بناء؟ لماذا أتيت إلى الموعديّة؟ وما هو اختبارك مع يسوع؟ وأخيراً، هل تعطي للحج أو لزيارة الأماكن الدينيّة مكانة أساسيّة في حياتك، ألا تعتقد أنّ الله موجود في الشرق الأوسط، في أوروبا وفي كلّ مكان، ويرافق خطواتك ويسمعك حين تحدّثه؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في لقائنا اليوم.

### ٢- قراءة الإنجيل وتفسيره:

#### لقاء يسوع بالمرأة السامريّة (يو ٤: ١-٤٢)

١ ولَمَّا عَلِمَ يَسُوعُ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ سَمِعُوا أَنَّهُ اتَّخَذَ مِنَ التَّلَامِيذِ وَعَمَدَ أَكْثَرَ مِمَّا اتَّخَذَ يَوْحَنَّا وَعَمَدَ ٢ مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تَلَامِيذُهُ، ٣ تَرَكَ الْيَهُودِيَّةَ وَرَجَعَ إِلَى الْجَلِيلِ. ٤ وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُرَّ بِالسَّامِرَةِ. ٥ فَوَصَلَ إِلَى مَدِينَةٍ فِي السَّامِرَةِ يُقَالُ لَهَا سِيخَارَةَ، بِالْقُرْبِ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي أَعْطَاهَا يَعْقُوبُ لابْنَهُ يُوْسُفَ، ٦ وَفِيهَا بئرُ يَعْقُوبَ. وَكَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعَبَ مِنَ الْمَسِيرِ، فَجَلَسَ دُونَ تَكَلِّفٍ عَلَى حَافَةِ الْبئرِ، وَكَانَتِ السَّاعَةُ تُقَارِبُ الظُّهْرَ.

٧ فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ تَسْتَقِي. فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: اسْقِينِي. ٨ وَكَانَ التَّلَامِيذُ قَدْ مَضُوا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَشْتَرُوا طَعَامًا. ٩ فَقَالَتْ لَهَا الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: كَيْفَ تَسْأَلُنِي أَنْ أُسْقِيكَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟ لِأَنَّ الْيَهُودَ لَا يُخَالِطُونَ السَّامِرِيِّينَ. ١٠ أَجَابَهَا يَسُوعُ: لَوْ كُنْتُ تَعْرِيفِينَ عَطَاءَ اللَّهِ وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكَ: اسْقِينِي، لَسَأَلْتَهُ أَنْتِ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا. ١١

قَالَتْ لَهُ الْمَرَأةُ: يَا رَبِّ، لَا دَلْوٌ عِنْدَكَ، وَالْبئْرُ عَمِيقَةٌ، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟<sup>١٢</sup> هَلْ أَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ الَّذِي أَعْطَانَا الْبئْرَ، وَشَرَبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَا شَبِثُهُ؟<sup>١٣</sup> أَجَابَهَا يَسُوعُ: كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ ثَانِيَةً<sup>١٤</sup> وَأَمَّا الَّذِي يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا إِيَّاهُ فَلَنْ يَعْطَشَ أَبَدًا بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ إِيَّاهُ يَصِيرُ فِيهِ عَيْنٌ مَاءٍ يَنْفَجِرُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً.<sup>١٥</sup> قَالَتْ لَهُ الْمَرَأةُ: يَا رَبِّ، أَعْطِنِي هَذَا الْمَاءِ، لِكَيْ لَا أَعْطَشَ فَأَعُودَ إِلَى الْاسْتِقْيَاءِ مِنْ هُنَا.<sup>١٦</sup> قَالَ لَهَا: اذْهَبِي فَادْعِي زَوْجَكَ، وَارْجِعِي إِلَيَّ هُنَا.<sup>١٧</sup> أَجَابَتِ الْمَرَأةُ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ. فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَصَبْتَ إِذْ قُلْتِ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ.<sup>١٨</sup> فَقَدْ كَانَ لِكَ خَمْسَةَ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي عِنْدَكَ الْآنَ لَيْسَ بِزَوْجِكَ، لَقَدْ صَدَقْتَ فِي ذَلِكَ.

<sup>١٩</sup> قَالَتْ الْمَرَأةُ: يَا رَبِّ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ.<sup>٢٠</sup> تَعَبَّدَ آبَاؤُنَا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ الْمَكَانَ الَّذِي فِيهِ يَجِبُ التَّعْبُدُ هُوَ فِي أُورُشَلِيمَ.<sup>٢١</sup> قَالَ لَهَا يَسُوعُ: صَدَّقْنِي أَيَّتُهَا الْمَرَأةُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا تَعْبُدُونَ الْآبَ لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ.<sup>٢٢</sup> أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا نَعْلَمُ لِأَنَّ الْخَلَاصَ يَأْتِي مِنَ الْيَهُودِ<sup>٢٣</sup> وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ - وَقَدْ حَضَرَتِ الْآنَ - فِيهَا الْعِبَادَةُ الصَّادِقُونَ يَعْبُدُونَ الْآبَ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، فَمِثْلُ أَوْلِيكَ الْعِبَادَةُ يُرِيدُ الْآبَ.<sup>٢٤</sup> إِنَّ اللَّهَ رُوحٌ فَعَلَى الْعِبَادَةِ أَنْ يَعْْبُدُوهُ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ.<sup>٢٥</sup> قَالَتْ لَهُ الْمَرَأةُ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْمَسِيحَ آتٍ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، وَإِذَا أَتَى، أَخْبَرْنَا بِكُلِّ شَيْءٍ.<sup>٢٦</sup> قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَنَا هُوَ، أَنَا الَّذِي يُكَلِّمُكَ.

<sup>٢٧</sup> وَوَصَلَ عِنْدَئِذٍ تَلَامِيذُهُ، فَعَجِبُوا مِنْ أَنَّهُ يُكَلِّمُ امْرَأَةً، وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ: مَاذَا تُرِيدُ؟ أَوْ لِمَاذَا تُكَلِّمُهَا؟<sup>٢٨</sup> فَتَرَكَتِ الْمَرَأةُ جَرَّتَهَا، وَذَهَبَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَتْ لِلنَّاسِ: <sup>٢٩</sup> هَلُمُّوا فَانظُرُوا رَجُلًا قَالَ لِي كُلُّ مَا فَعَلْتُ. أَتْرَاهُ الْمَسِيحَ؟<sup>٣٠</sup> فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَسَارُوا إِلَيْهِ...<sup>٣١</sup> فَآمَنَ بِهِ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنْ سَامِرِيِّي تِلْكَ الْمَدِينَةِ عَنْ كَلَامِ الْمَرَأَةِ الَّتِي كَانَتْ تَشْهَدُ فَتَقُولُ: إِنَّهُ قَالَ لِي كُلُّ مَا فَعَلْتُ.<sup>٤٠</sup> فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ السَّامِرِيُّونَ سَأَلُوهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُمْ، فَأَقَامَ هُنَاكَ يَوْمَيْنِ.<sup>٤١</sup> فَآمَنَ مِنْهُمْ عَدَدٌ أَكْبَرَ عَنْ كَلَامِهِ،<sup>٤٢</sup> وَقَالُوا لِلْمَرَأةِ: لَا نُؤْمِنُ الْآنَ عَنْ قَوْلِكَ، فَقَدْ سَمِعْنَاهُ نَحْنُ وَعَلِمْنَا أَنَّهُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ حَقًّا.

## ٢. ١ - الشرح

لم يكن حديث يسوع مع رجل سامري بل مع «امرأة» سامرية وهذا يعطي قيمة وكرامة للمرأة، كانت مفقودة عند الشعوب القديمة. هذا اللقاء شبيه بلقاءات الآباء الأولين: إسحق برفقة، ويعقوب براحيل، وموسى بصفورة. وإن توبة أهل السامرة في آخر النص هي بمثابة زواج جديد بين الله وشعبه. والحديث بين يهودي وسامرية أمرٌ مُستغرب بسبب العداوة بين الشعبين تاريخياً وإيمانياً.

يعود تاريخ العداوة بين اليهود والسامريين إلى ما بعد موت سليمان الملك سنة ٩٣٥ ق.م.، كما أشرنا سابقاً في الفصل الرابع عشر في حديثنا عن مثل السامري الصالح. فقد كان في التاريخ أربعة مفاصل أساسية بين الشعيين. أما أيام المسيح، فقد اضطهد بيلاطس الكثير منهم (لو ١٣: ١)؛ وبما أنهم شاركوا في الانتفاضة الكبرى ضد الرومان، قُتلوا وذهبوا في مهبط الريح سنة ٦٧ بعد الميلاد؛ ويُحكى أنه لا يزال منهم بقية باقية في الأرض المقدسة.

وإيمانياً، كان السامريون يؤمنون بكتب التوراة الخمسة فقط (وليس بكامل العهد القديم)، يؤمنون بإله واحد، بالشريعة والوصايا العشر، مكان العبادة جبل غريزيم، وحسب رأيهم أراد الله للعبادة وتقديم الذبائح. ويؤمنون بموسى كنبى وحيد سيعود، ويدعى «التائب».

ضُف إلى ذلك أن السفر، جغرافياً، بين الشمال (الجليل) والجنوب (اليهودية)، لا يمرّ إلزامياً بالسامرة بين الجبال الوعرة المليئة باللصوص، إنما هناك طريق سهل قرب نهر الأردن يسلكه الحجاج. لذلك عندما يقول الإنجيل في الآية ٤ كان على يسوع أن يمرّ في السامرة، فبالطبع ليس جغرافياً، إنما رسولياً كان عليه أن يمرّ هناك ليُلقى البشارة. نجد في إنجيل اليوم قسمين في موضوعين:

أ- الحوار مع السامرية يدور في الموضوع الأول حول الماء (٤: ٧-١٨):

الحوار مع المرأة السامرية هو على مستويين: مستوى بشري مادّي طبيعي، ومستوى ثانٍ روحي إلهي ذات معنى أهم. الماء الذي يحتاجه الإنسان ليروي عطشه أصبح بالنسبة إلى يسوع ماء حياة يجعل الذي يشربه يتحوّل إلى نبع ماء ينبع حياة أبدية. إلّا ما يرمز الماء؟

للماء في الكتاب المقدس معانٍ عديدة، فهو يرمز إلى الموت والحياة. إنّه يُجيب النبات والحيوان والإنسان، ولكنه إذا غمرنا يقضي علينا. أمّا يسوع فيُعطي الماء الحي، أي - طبيعياً - المياه الجارية النقية، لأنّ الماء الرّاكد لا حياة فيه بل يعجُّ بالأوساخ والجراثيم. هذا بعض ما يرمز إليه هذا الماء الحيّ: في الكتاب المقدس يرمز الماء إلى كلمة الله وتعليمه، وحكمته الأزلية، وشريعته المقدسة. وفي إنجيل يوحنا، يرمز الماء إلى الروح القدس عطية الله العظمى بعد القيامة. وفي حياة الكنيسة، يرمز الماء إلى ماء العماد المقدس. فالذي يتقبّل الكلمة يتحوّل إلى نبع يعطي الكلمة. والإنسان يتحوّل إلى مبشّر وإلى مواهبى، يفيض نبعاً في الكنيسة ويقُدّس من حوله. إن كلّ معمّد يستطيع أن يعمّد في حال الضرورة.

ب- الموضوع الثاني الأساسي مع السامريّة يدور حول العبادة (٤: ١٩-٢٤):

هنا أيضا تحدثت المرأة السامريّة عن مكان جغرافي للعبادة في جبل غريزيم، أم في أورشليم. أما يسوع فتحدثت عن نوعيّة عبادة فقال: «تأتي ساعةً يعبد العبادُ الصادقون الله بالروح والحق» (٤: ٢١-٢٣). هنا أيضًا رفع يسوع مستوى الحوار من مستوى سطحيّ أرضيّ إلى مستوى أهمّ. للمسيحيين ليس المكان الذي يشفي لا كنيسة مار فلان ولا مقام سيّدة فلان، فيسوع يتحدث عن عبادة في القلب: ليس المكان الذي يشفي بل إيمان القلب. من هنا لا فريضة حج للمسيحيين.

من التفاسير لعبارة «عبادة الآب بالروح والحق» (آ. ٢٣): عبادة الآب تتم بقوة الروح القدس مع الارتكاز على الحقّ أي يسوع. لكن، بغضّ النظر عن التفاسير اللاهوتيّة، ما يريده يسوع هو عبادة في القلب؛ ليست الديانة المسيحيّة شعائر خارجيّة حتى ولو تتمّ من خلال الرموز والليتورجيا. الأساس في المسيحيّة هو القلب، هو باطن الانسان!

## ٢. ٢- التأوين

يدعوننا إنجيل اليوم أن نبحث في حياتنا عن الماء الحي، يسوع المسيح من خلال كلمته وتعليمه، فمن شرب منه لا يعطش أبدًا. لماذا الذهاب إلى الآبار المشققة التي لا يشفي ماؤها غليلنا؟ فعندما نرتوي من ماء الحياة، نصبح نبعًا يفجر حياةً أبديةً للأخرين. يكمن معنى حياتنا بالتلمذ ليسوع وللشهادة له في محيطنا. كما يدعوننا إنجيل اليوم أن نعبد الله بالروح والحق؛ لا فريضة حج في المسيحيّة، فالله موجود في كل مكان وزمان، وحضوره فعليّ وخالصيّ بشكل دائم.

## ٣- التعليم اللاهوتيّ والروحيّ: عمل الروح القدس

يؤمن المسيحيون بالإله الواحد في ثلاثة أقانيم، أي إن الله ليس وحيدًا، بل هو في وحدته أقانيم ثلاثة، لكل واحد ميزته ودوره، وهذا ما رأينا له انعكاسات في تاريخ خلاصنا. الروح القدس هو الأفتنوم الثالث، وكان اسمه مرتبطًا بعمل الله منذ الخلق، فقد «كان روح الله يرفرف فوق المياه». ويشير حضوره في كلّ مرّة إلى خلق جديد سيبدأ. بعد خلق العالم نراه حاضرًا على رأس يسوع عند بداية رسالته العلنية إشارة إلى خلق جديد للعالم. ونراه في العنصرة عند بداية الكنيسة حالًا على الرُّسل. ونؤمن بحلوله في المؤمنين في بدء حياتهم المسيحية، فهو الذي يقبله كلّ واحد يوم عماده وتبتيته.

تساعدنا صور كثيرة في الكتاب المقدس على فهم دور الروح القدس وبالتالي هويته: هو كالهواء الذي يجعلنا نتنفس، وكالريح يدفعنا للإنطلاق، وكالزيت الذي يقوي المصارعين والعدائين، والنار التي تطهر وتدفع من كان باردًا، واليامة التي تنزل من السماء، والمياه التي يعطينا إياها الرب والتي تتفجر فينا كالينابيع فتسقي من حولنا.

لم يشأ الرب يسوع الممتلئ من الروح القدس أن يحتفظ بهذه العطية السامية لنفسه بل أفاضه على رسله. فالروح هو أيضًا روح الشراكة مع الآب والابن، وبحلوله يسكب فينا حياة الله ويجعلنا نقبل القداسة منه. هو بالرغم من قوته لا يلزمنا أي خيار، بل يحننا من الداخل لكي نختار الأفضل، أي ما يوافق مشيئة الله. هو يحترم حرّيتنا ولا يلغيها، بل على العكس، هو يحرر حرّيتنا التي ربّما تكون عاجزة عن اختيار الخير، فيعطيها الإمكانية، إذ ينزع عنها كل القيود التي تكبلها، لنتخار ما تريد وترغب.

كيف يحررنا من الداخل؟ هو إذ يدفعنا لكي نحبّ ويعطينا النعمة لذلك، يجعلنا ننزع من قلوبنا الأنانية التي هي في الوقت عينه باب للخطيئة وفرصة لعبودية. يحننا على طلب السلام مع ما ينتج عنه من رغبة في الغفران والمصالحة. هو يعمل فينا من الداخل فيزرع في أعماقنا روح العائلة التي نتمى إليها، أي مشاعر الله الآب والرب يسوع الابن. هو يجعلنا ننادي الله: «أبًا، أيها الآب».

ومن طبيعة عمله، وبما أنّه روح المحبة والتسامح والغفران، هو لا يحرص عمله في المسيحيين، بل يعمل في كلّ إنسان. هؤلاء الناس الذين يفتحون على عمله ولو لم يعرفوا هويته، هم الذين تسميهم الكنيسة «ذوي الإرادة الحسنة». فالروح القدس ليس ملكًا للكنيسة يمشي كما تطلب هي منه، بل هو معلّمها الذي يقودها، بإلهاماته، لكي تسير في بحر هذا العالم، علامة على محبة الله لكلّ الناس.

٤ - للقراءة والتأمل: قراءة من القدّيس غريغوريوس الترينزي (+ ٣٩٠)

### عمل الروح متنوع

إذا سلّمنا بأنّ الروح ليس له أن يمجد، فكيف يؤهّني؟ وإذا وجب له التمجيد، فكيف لا يكون أهلاً للعبادة؟ وإذا كان أهلاً للعبادة، فكيف لا يكون إلهًا؟ كلا الأمرين معقودٌ بالآخر. إنّها حقًا لسلسلة ذهبية وخلاصية. فمن الروح يأتي التّبيي، ومن التّبيي نستعيد حالتنا الأولى، ومنها نعرف الذي أعادنا.

قبل فيه: روح الله، روح المسيح، روح السيّد، السيّد في ذاته، روح التّبيي والحقّ والحرّيّة، روح الحكمة ومحافة الله. فهو صانع جميع هذه.

إنَّه مبدأ الكلِّ بجوهره، يستوعب الكلَّ، يملأ العالمَ جوهره، لا يحدِّ العالمَ قدرته، إنَّه صالح ومستقيم ومُرشد، مقدَّس بطبيعته لا بصفةٍ تضاف إليه. يقيس ولا يُقاس، يُشترك فيه ولا يَشْتَرِك، يملأ ولا يُمَلأ، يَحْتَوِي ولا يُحْتَوَى، يورث، يتمجِّد، يُذكر مع الآب و الابن. هو إصبع الله، هو نار، مثل الله، ليدلَّ بحسب إيماني على أنَّه مساوٍ له في الجوهر. هو الرُّوح الذي يُبرىء كلَّ الخلائق، يحدِّد بالمعموديَّة والقيامة. إنَّه الرُّوح الذي يعرف كلَّ شيء، يعلم، يهبُّ حيث يشاء، مقدار ما يشاء. يرشد، يتكلَّم، يرسل، ينير، يميِّز، يغضب، يمتحن، يوحى، يُلهم، يُحيي؛ هو بالأحرى نورٌ وحياة، يجعلنا هيكله، يؤهِّننا، يبلغنا الكمال، حتَّى إنَّه يسبق المعموديَّة، ويتبعها. إنَّ له كلَّ فعل الله، يقسِّم ألسنةً من نار، يوزِّع المواهب الروحيَّة، يصنع رسلاً وأنبياء، إنجيليَّين ورعاةً وملافة.

(خطبة ٣١: ٢٨-٢٩)

